

غروب...!

للاستاذ محمود حسن إسماعيل

مَالِي أَحْسَنُ كَأَنَّ عُمرِي فِي يَدِ الْأَحْزَانِ يُطَوِّي ؟
نَفْسِي تَنَاهَبَهَا الشَّقَاءُ وَلَمْ تَجِدْ فِي الْجِسْمِ مَأْوَى
قَلْبِي أَدَلَّتُهُ الْجِرَاحُ فَمَا يُطِيقُ بَيْنَ شَكْوَى
حُبِّي اسْتَحْجَالَ رِوَايَةَ لِلدَّمْعِ يَتَصَرُّهَا فَتَرَوِي
وَصَبَا غَرَامِي صَارَ أَبْعَدَ مِنْ مَشِيْبِ النَّيْبِ شَأْوَى
أَعْدُو، وَأُمْنِي ... وَالْأَسَى نَارٌ أَذَابُ بِهَا وَأَكْوَى
رَبَاهُ أَمَا أَنَا؟ ... هَلْ وَجِدْتُ عَلَى زَمَانِ النَّاسِ سَهْوَى
سَرِيَّتِي رُوحًا ... تَمَرَّدَ أَنْ يَرَى الْأَرْضَ مَثْوَى
وَأَنَا التَّرَابُ فَكَيْفَ صِرْتُ هَوَى، وَتَعَذِّبًا، وَشَجْوَى
شُرْفَاتُ عَيْبِكَ لَا يُفِخُنَ لِعَيْزٍ مَنْ يَبْكِي دُؤَى
وَأَنَا إِلَيْكَ ذَرَفْتُ أَيَّامِي فَزَادَ ذَبِي عَتْوَى
وَرَأَيْتُ سِحْرَكَ فِي الرُّجُودِ أَضَلَّ إِحْسَاسِي وَأَغْوَى
النَّهْرُ جَبَّارٌ عَصَاكَ فَلَاحَ مَحْمُومًا تَلَوَى
وَالعِطْرُ زِنْدِيقٌ يُذِيعُ عَذَابَهُ ... وَيَقُولُ: سَلَوَى
وَالظَّبْرُ مَجْرُوحُ الفِنَاءِ وَيُبْلِسُ الْآهَاتِ صَفْوَى
وَالرَّيْحُ جِنٌّ آئِمٌّ وَخَزَنَةُ زَلَّتُهُ فَدَوَى ...
... وَطَوَى الفَضَاءَ مَرْمَجْرًا مُتَصَرِّعًا يَسْتَلُّ عَفْوَى !
وَالشَّمْسُ مَسْلُولٌ تَلْفَعُ بِالقَيْوَمِ وَدَسَّ بَلَوَى ...
... قَلْبَتِ عَلَى شَفَقِ العَيْبِ كَأَنَّهَا فِي النَّارِ تُشْوَى
وَاللَّيْلُ أَقْبَلُ بِمَدْلِ القِيَعَانِ أُسْرَارًا وَتَجْوَى ...
وَأَنَا الغَرِيبُ شَرِبْتُ أَحْزَانِي قَبِيلَ : شَرِبْتُ لَهْوَى
وَبَكَيْتُ حَتَّى خَلْتُ أَجْزَانِي مُعَذِّبَتِي وَتَشْوَى !
مَاذَا رَجَائِي فِي الحَيَاةِ إِذَا انْتَهَى مَا كُنْتُ أَهْوَى
وَوَقَفْتُ أَحْفَرُ لِالجِرَاحِ طَرِيقَهَا ... فَتَعَوَّدُ شَدْوَى !

محمود حسن إسماعيل

المسلمين^(١) بينما كان آخرون يقررون أن للقهوة فضائل ، إحداهما مقاومة النوم فتكون عوناً قوياً للأتقياء على عبادتهم ليلاً . وكثيراً ما كان بيع البن حينئذ يحرم ويحلل حسب رأى الحاكم . أما الآن فيقول جميع المسلمين تقريباً بحل القهوة ، وبفرطون في استعمالها ، وحتى الوهابيون الذين هم أشد المسلمين صرامة في الحكم على التبغ والتمسك بأحكام القرآن والحديث وكانت القهوة تجهز قبلاً من حب البن وقشره معاً . ولا تزال تعد في جزيرة العرب منهما معاً أو من القشر فقط . وتختصر في البلاد الشرقية الأخرى من الحب وحده يقلى ويطحن أولاً فأولاً .

في القاهرة أكثر من ألف « قهوة »^(٢) . والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود^(٣) . ويقوم على طول الواجهة ، ما عدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثاً وعرضها كذلك تقريباً . وفي داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة . ويرتاد المقهى أفراد الطبقة السفلى والتجار وتردح بهم عصرًا ومساءً . وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغته . ويقدم « القهوجي » القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد أو عشر فضة « للبيكرج » الصغير الذي يسع ثلاثة فناجين أو أربعة^(٤) . ويحفظ القهوجي أيضاً بعدد من آلات التدخين من زرجيلة وشيشة وجوزة^(٥) . وتستعمل هذه الأخيرة في تدخين التبناك والحشيش الذي يباع في بعض المقاهي . ويتردد الموسيقيون ، والمحدثون على بعض المقاهي في الأعياد الدينية خاصة (يتبع)

هذه طاهر نور

- (١) وقد نسب بعضهم إلى القهوة الاصرار بالعقل والبدن إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجدال والفتن وحصول ما أدى إلى منع بيعها وكسر أوانيها بل وإلى تمزيق باعها بالضرب وغيره .
- أنظر الباب الأول من كتاب : « عمدة الصغوة في حل القهوة » للشيخ عبد القادر محمد الأنصاري الجزيري (المترجم)
- (٢) يطلق لفظ القهوة ، وهو اسم الصراب على المكان الذي يباع فيه
- (٣) أنظر الرسم الموجود في الفصل الحادي والعشرين
- (٤) وكثيراً ما يباع في القهى أيضاً في ليالي الأعياد خاصة شراب الزنجبيل المحلى بالسكر
- (٥) وصفت هذه الآلات في فصل سابق